# الفصل الثالث

## عصر الخلافة الراشدة

### ( ١١ - ٤١ هـ ) / ( ٦٣٢ م - ٦٦١ م )

من رحمة الله وتثبيته لأعظم عظماء البشرية الرسل والأنبياء - وقد علم ما سيلاقونه من الشدائد والمصاعب - أنه جعل إلى جوارهم أصحابا مخلصين يناصرونهم ويؤيدون مسعاهم ، ويحملون الشعلة من خلفهم لاستكمال المسيرة التي قدرها الله سبحانه وتعالى لخير ومنفعة البشرية . وفي هذه العجالة سوف نعرض لعصر الخلفاء الراشدين ومواقفهم وأعمالهم من بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم . وهؤلاء الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر الصديق ، وعمر ابن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب .

* * * * * * * * * * * *

## أبو بكر الصديق [١]

### ( ١١ - ١٣ هـ ) / ( ٦٣٢ - ٦٣٤ م )

عقب موت محمد ( ﷺ ) كادت أن تحدث فتنة .. حيث لم يصدق المسلمون موت نبيهم .. إلى حد أن قام عمر بن الخطاب وخطب في الناس فقال ..

" إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ( ﷺ ) توفى ؛ وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ؛ فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد

---

**١ هو " عبد الله بن أبي قحافة " وكنيته " أبو بكر الصديق " من قبيلة قريش ؛ أمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه . ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م. وقد تقلد الخلافة وعمره ٥٩ سنة . ومات سنة ٦٣٤ م. وهو أول من أسلم من الرجال الأحرار وأول الخلفاء الراشدين . صحب الرسول في الغار أثناء الهجرة . قاتل المرتدين ومهد لتكوين الإمبراطورية الإسلامية .**

أن قيل : قد مات . والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات ! "

وجاء أبو بكر مسرعا من بيته ( في السنْح ) عندما بلغه هذا الخبر الفادح ، فبصر بالمسلمين وبعمر يخطبهم ، فلم يقف طويلا .. بل قصد إلى بيت عائشة مباشرة واستأذن ليدخل ، فقيل له لا حاجة لأحد اليوم بإذن . فدخل فألفى النبي مسجى في ناحية من البيت عليه برد حبرة ( أي نسيج موشى مخطط ) ، فأقبل عليه حتى كشف وجهه ثم أقبل عليه يقبله وقال ما أطيبك حيا وما أطيبك ميتا ! ولما أيقن أبو بكر أن محمدا قد مات خرج وعمر ما يزال يكلم الناس ويقنعهم بأن محمدا لم يمت . فلما دنا من عمر نـــاداه : على رِسْلكَ يا عمر أنصت ! لكن عمر أبى أن يسكت ! فأقبل أبو بكر على الناس وأشار إليهم أن يكلمهم ، فأسرع الناس إليه وانصرفوا عن عمر . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت . ثم تلا قوله تعالى :

**﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾**

( القران المجيد : ال عمران {٣} : ١٤٤ )

وهكذا ؛ كان ثبات أبو بكر عند وفاة النبي ( ﷺ ) ثباتا للأمة كلها ، وعَوْدا بها إلى رشدها . وعندما أيقن المسلمون أن محمدا قد مات .. تفرقوا ..!!! وانحاز حيٌ من الأنصار ( أهل المدينة ) إلى سعد بن عبادة في سَقيفة بني ساعدة ، واعتزل عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عُبيد الله بيت فاطمة ، وانحاز المهاجرون ( من هاجر مع محمد ﷺ من مكة إلى المدينة ) ومعهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل إلى أبي بكر . وجاء ات لأبي بكر وعمر ينبئهما بنبأ الأنصار الذين انحازوا إلى سعد بن عبادة ، ثم يردف النبأ بقوله : " فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم ( ورسول الله ﷺ في بيته لم يـــدفن بعد ) . فانطلق أبو بكر وعمر إلى الأنصار حتى نزلوا **سقيفة بني ساعدة** ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل . **قال عمر بن الخطاب : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة .. به وجع .**

فلما جلس المهاجرون قام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم ، وإذا هم

يريدون أن يحتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر . ولم يكد عمر يسمع هذا الكلام حتى أراد أن يدفعه .. فأمسك به أبو بكر مخافة شدته وقال : على رسلك يا عمر ! ثم قال ـــ أبو بكر ـــ موجها كلامه للأنصار : " أيها الناس ! نحن المهاجرين أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا وأحسنهم وجوها ، وأكثرهم ولادة في العرب ، وأمسهم رحما برسول الله ﷺ : أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ .. (١٠٠) ﴾

( القران المجيد : التوبة {٩} : ١٠٠ )

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء ، وأنصارنا على العدو . وأما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، وأنتم أجدر بالثناء من أهل الأرض جميعا . فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش : **فمنا الأمراء ومنكم الوزراء** " .

وهنا استشاط أحد الأنصار غضبا وقام فقال : " أنا جُذَيْلُها المحكك [٢] ، وعُذَيْقُها المرجب . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش " . قال **أبو بكر** : " **بل منا الأمراء ومنكم الوزراء** ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، **وأخذ بيد عمر بن الخطاب وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بينهما** . هنالك كثر اللغط وارتفعت الأصوات ، وخيف الاختلاف فنادى **عمر** بصوته الجهوري : أبسط يدك يا أبا بكر . فبسط أبو بكر يده فبايعه وهو يقول : " ألم يأمرك النبي ( ﷺ ) بأن تصلي أنت يا أبا بكر بالمسلمين ! فأنت خليفته ؛ ونحن نبايعك فنبايع خير من أحب رسول الله ( ﷺ ) منا جميعا " . ومست هذه الكلمات قلوب الحاضرين من المسلمين ، حيث كانت معبرة حقا عما ظهر من إرادة النبي ( ﷺ ) حتى هذا اليوم الأخير الذي رآه الناس فيه . فقضى ذلك على ما بينهم من خلاف ، وأقبل فبايع المهاجرون ، ثم بايع الأنصار .

وإذا كان الغد من ذلك اليوم ؛ جلس أبو بكر على منبر المسجد ، وتقدم **عمر بن الخطاب** فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " اني قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهده إليّ رسول الله ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله

---

**٢ الجذيل : تصغير الجذل وهو أصل الشجرة . والمحكك : الذي تحكك به الإبل الجربى لتشفى به . العذيق : تصغير العذق ( بفتح العين ) وهو النخلة . المرجب : الذي جُعل له دعامة تبنى حوله . ويريد القائل بالمعنى أنه قد جربته الأمور وله علم يشتفى به .. كما تشتفى الإبل الجربى باحتكاكها بالجذل .**

سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا . وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى رسوله . فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له . وإن الله قد جمع أمركم على خير صاحب رسول الله ( ﷺ ) **وثاني اثنين إذ هما في الغار** [٣] ، فقوموا فبايعوه " . فبايع الناس أبو بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

وقام أبو بكر ــ أول الخلفاء الراشدين ــ بعد أن تمت البيعة ( أي الانتخاب ) فخطب الناس بعد أن حمِد الله وأثنى عليه وقال :

**" أما بعد ، أيها الناس ، قد وليتُ عليكم ولست بخيركم . فإن أحسنتم فأعينوني ، وإن أسأت فقوّموني . الصدق أمانة . والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قوما الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله . فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قومـــوا إلى صلاتكم يرحمكم الله " .**

خطاب يعتبر آية من آيات الحكمة وفصل الخطاب .. حدد فيه مسئولية الحاكم والمحكوم . كما لم ير في الخلافة إلا هما ومسئولية عليه أداؤها بحقها .

وعقب مبايعة ( انتخاب ) أبو بكر للخلافة أنفذ بعثة أسامة بن زيد إلى الشام على الرغم من حاجة المدينة إلى كل جندي في هذه الفترة . ولأسباب عديدة بدأ بعض العرب في أواخـــر حياة النبي ( ﷺ ) ردة جماعية عن الإسلام ، افتتحها **الأَسْوَدُ العَنْسيُّ** الكاهنُ باليمن ، وتلاه باليمامة **مسيلمةُ الكذاب** في بني حنيفة ، **وطليحةُ بن خويلد** في بني أسد . ومع أن الأسْود هلك وماتت فتنته قبل وفاة النبي ( ﷺ ) بيوم واحد ، إلا أن وفاة الرسول فتحت باب الردة والامتناع عن أداء الزكاة على مصراعيْه ، حتى لم يبق في العرب قبيلة إلا ارتدت : بعضها أو كلها ، عدا أهل المدينة ومكة والطائف ، والعديد من قبائل الحجاز ، مثل : أسلم وغفار وغيرهما ..

---

٣ تأتي هذه الفقرة ــ في القرآن المجيد ــ في سياق قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ( التوبة : ٤٠ )

وقد تمثل مجهود أبي بكر في هذه المرحلة في المواجهات التي قادها بنفسه ضد القبائل التي تجمعت حول المدينة وأرادت غزوها ، من عبس وذبيان وكنانة ومن اجتمع إليهم ، رافضا أن يتنازل لهم عن أي شئ من الإسلام ، كما أعد الصديق ألوية وجهها لقتال المرتدين في كل ناحية من جزيرة العرب ، حتى عادت الألويةُ منتصرةً ، والدينُ عزيزا لا يجرؤ أحد أن يدوس له على طرف .

انتهت حروب الردة ، وتم القضاء على كل من **ادعى النبوة** كالأسود العنسى ، ومسيلمة الكذاب ، وطليحة بن خويلد . ورجع الهدوء والاستقرار إلى الجزيرة العربية . وبدأت أنظار المسلمين تتجه ناحية حدود دولتهم ، فالفرس قد عرفوا بعدائهم الشديد للإسلام ، وقد ظهر هذا من خلال مساندتهم للمرتدين ، وإمداد كل من ادعى النبوة فى الجزيرة العربية ، كما كان الروم يحاربون الدعوة وينصرون خصومها .

**ولهذا أمر أبو بكر خالد بن الوليد** بالسير إلى العراق في محرم سنة ١٢هـ / ٦٢٤م ، لفتحها .. وهو ما مهد إلى الفتح الإسلامي لإيران [٤] ( فارس ) ، إلا أن سيطرة المسلمين على الأراضي الإيرانية المختلفة استغرقت قرابة عشر سنوات بعد **انتصارهم المبين على الفرس في معركة نهاوند** ( إحدى مدن إيران ) في عام ٢١هـ / ٦٤٣م ، والتي أنهت إمبراطورية الفرس المجوسية . ففي عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عيّن **النعمان بن مُقرِّن** .. قائدا لهذه المعركة .. ووقف النعمان يقول قبل أن تبدأ المعركة : " **اللهم اعزز دينك وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك ، اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، أمنوا رحمكم الله** " .. فبكى الناس ودخل المسلمون المعركة وانتصروا فيها نصرا مبينا .. وقضوا على إمبراطورية الفرس المجوسية .. واستشهد النعمان في هذه المعركة .

---

٤ ظل المذهب السني هو المذهب السائد في إيران طوال العهد الراشدي ، والعصر الأموي والعباسي إلى أن ظهرت نزعة الاستقلال عند العرب في إيران منذ أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي . وازدادت بعد ذلك في عهود الدولة الصفارية والدولة السامانية والدولة الغزنوية . ولم يتغير المذهب السني إلا بعد قيام الدولة الصفوية الشيعية الغالية في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م وإعلانها المذهب الشيعي الإمامي مذهبا رسميا في إيران في أوائل القرن السادس عشر ( عام ٩٠٧هـ /١٥٠١م ) ، فاتخذ تاريخ إيران وحضارتها الإسلامية اتجاها جديدا مغايرا واصطبغ بصبغة جديدة منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا .

ولم تعد إيران إلى رحاب السنة مرة أخرى على خلاف ما كان في مصر مع الدولة الفاطمية ( الشيعية ) ، وربما يعود السبب في ذلك : أن الفاطميين وإن ضيقوا على السنة كثيرا لكنهم لم يشهروا السيف ليغيروا عقائد السنة من جهة ، ثم مجيء الأيوبيين من بعدهم وطمس كل آثار لهم من جهة أخرى ، لكن في إيران لم يتبع الأسلوب ذاته .

كما دعا أبو بكر المجاهدين لحرب الروم فى الشام ، وأعلن التعبئة العامة ليلقن كل الذين يفكرون فى العدوان على الإسلام والمسلمين درسًا لا ينسى ، وتحركت الجيوش من " المدينة المنورة " وبتشكيل أربع فرق يقودها قواد عباقرة عظام ..

كان على رأس الفرقة الأولى : " **عمرو بن العاص** " **ووِجْهَتُه** " فلسطين " .
وكان على رأس الثانية : " **يزيد بن أبى سفيان** " ووجهته دمشق .
وكان على رأس الثالثة : " **الوليد بن عقبة** " ووجهته " وادى الأردن " .
أما الرابعة : فكان على رأسها " **أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح** " ووجهته " حمص " .

ويلتقي جيش المسلمين بجيوش الروم في " **معركة أجنادين** " في فلسطين في ( ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ / ٣٠ من أغسطس ٦٤٣ م ) ويتمكن جيش المسلمين من إحراز النصر على جيوش الروم وبسط سيطرته على أجزاء كبيرة من بلاد الشام ضمت " **بعلبك وحمص ودمشق والبلقاء والأردن وأجزاء من فلسطين** " .

فيجمع " **هرقل** " **إمبراطور** الروم حشود هائلة لمعركة فاصلة أمام المسلمين ويلتقي الجمعان في " **معركة اليرموك** " في الأردن ( في ٥ رجب سنة ١٥ هـ ) وينتصر فيها المسلمين على جيوش الروم نصرا مؤزرا . وكان تعداد جيوش المسلمين التى سيرت إلى الشام وقتئذ سبعة وعشرين ألفا [٥] ، ولكنها زيدت بوصول جيش " **خالد بن الوليد** " إلى **ستة وثلاثين ألفا** بعد أن أولاه أبو بكر قيادة جيش المسلمين . وكانت جيوش الروم ـ بقيادة هرقل ـ تقارب **المائتين وأربعين ألفا** ، ولكن الله نصر عباده رغم قلة عددهم ، بسبب إيمانهم وقوة عقيدتهم .

وهكذا ؛ مهد أبو بكر لقيام الإمبراطورية الإسلامية ، فامتدت في عهد عمر من حدود الصين شرقا إلى ما وراء برقة غربا ، ومن بحر قزوين ( بحر الخزر ) في الشمال إلى النوبة

---

٥ قبل أن يتحرك " أبو عبيدة بن الجراح " بجيوش المسلمين من حمص ليجتمع مع " خالد ابن الوليد " ، دعا " حبيب بن مسلمة " ـ عامله على الخراج أي الضرائب – وقال له : " أردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم . فإنه لا ينبغي لنا إذا لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئا ، وقل لهم : نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ، لا نرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه ، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنّا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع ( نحمي ) بلادكم .. " . فقام حبيب بن مسلمة برد الجزية إلى أهالي حمص ، وبلغهم ما قاله أبو عبيدة ؛ فما كان منهم إلا أن قالوا : " ردكم الله إلينا ، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا ، بل غصبونا وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا ؛ لولايتكم وعوْدكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم .

في الجنوب ، واشتملت فارس ( ايران ) والعراق والشام ومصر ، وضمتها كلها إلى بلاد العرب ، وكان لتباين وتفاعل العوامل الاجتماعية والطبيعية لهذه البلاد أثر بالغ في توجيه حضارة العالم فيما بعد .

وهكذا ؛ حمل أبو بكر أمانة الخلافة بعد رسول الله ( ﷺ ) فكان خير خلف لأعظم سلف ، صان الأمانة وحفظها ، وعدل في الرعية ، وجهز الجيوش الفاتحة ووجهها إلى العراق والشام ليبدأ الإسلام مرحلة من أهم مراحل انتشاره في العالم أجمع . فقد كان عهد أبي بكر امتدادا لعصر النبي ( ﷺ ) ، فلم يكن إلا متبعًا ومنفذًا لكل ما أشار به الرسول أو أمر به ، لم يبتدع أبو بكر ( رضي الله عنه ) شيئًا يخالف ما كان عليه رسول الله ، بل كان كل شيء يسير وفقًا لشريعة الإسلام ففي خلافته خرج كل المسلمين لقتال المرتدين وللفتوحات الإسلامية . ولم يبق فى المدينة إلا من استبقاهم أبو بكر لحمايتها ، ولاستشارتهم ولتبادل الرأى معهم ، وعلى رأس هؤلاء : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص . وكانت المدينة المنورة فى عهده عاصمة الدولة الإسلامية ومركز الحكم ومقر الخلافة .

وبعد سنتين وبضعة أشهر مكثها أبو بكر في الخلافة حضرت الوفاة شيخ قريش العظيم وخير الأمة بعد رسولها . ومات الصدّيق في **جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة للهجرة** ليلحق بصاحبه ــ رسول الله ﷺ ــ ويرافقه في القبر كما صحبه ورافقه في الدنيا .

* * * * * * * * * * *

# ( الفاروق ) عمر بن الخطاب [٦]
## ( ١٣ - ٢٣ هـ ) / ( ٦٣٤ - ٦٤٤ م )

في الساعات الأخيرة من حياة أبى بكر ( ﷺ ) رغب في شخصية قوية قادرة على تحمل المسئولية من بعده ، فجمع كبار الصحابة من مهاجرين وأنصارا لاستشارتهم في استخلاف عمر من بعده ، وكانوا جميعا يعرفون قدر عمر في الإسلام ، **فأيدوا هذا الاختيار** . ومما قاله عثمان ابن عفان : ( اللهم علمي به أن سريرته أفضل من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله ) ..

وبناء على تلك المشورة وحرصا على وحدة المسلمين ورعاية مصلحتهم أوصى أبو بكر الصديق بخلافة عمر من بعده ، وأوضح سبب اختياره قائلا : ( اللهم اني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم ، واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم ) .. ثم أخذ البيعة العامة له بالمسجد اذ خاطب المسلمين قائلا : ( أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ **فوالله ما آليت من جهد الرأي** ، ولا وليت ذا قربى وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا ) .. فرد المسلمون : ( سمعنا وأطعنا ) وبايعوه سنة ( ١٣ هـ )

ومنذ اللحظة الأولى لمبايعة عمر بن الخطاب بالخلافة وهو يفكر في هذه التركة المثقلة بالهموم ، التي تركها له صاحباه رسول الله وخليفته الأول أبو بكر الصديق ، خاصة وأن كثيرا من الصحابة يخشون شدته التي عرف بها واشتهر .. فصعد المنبر ، وخطب في الناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه فقال :

" **أيها الناس ! ما أنا إلا رجل منكم ، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم ، إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم ، وأبقاني فيكم بعد صاحبي . بلغني ! أن الناس هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور إليه ، ومن قال ذلك فقد صدق ..**

٦ هو : الفاروق أبو حفص . عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى القرشي العدوي ؛ ولد حوالي سنة ٥٨٦ م ( ٤٠ سنة قبل الهجرة ) . أسلم في السنة السادسة من البعثة . تقلد الخلافة وعمره حوالي ٤٨ سنة . ومات سنة ٦٤٤ م . وهو ثاني الخلفاء الراشدين . ويعتبر موسس الإمبراطورية الإسلامية .

**واستأنف قائلا .. " ثم وليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والقصد ، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض .. ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها : لكم علي ألا أجتبى شيئا من خراجكم ، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم علىّ إذا وقع في يدي ألا يخرج منى إلا في حقه ، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ، وأسد ثغوركم ، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك ، ولا أجمِّركم في ثغوركم ، وإذا غيبتكم في البعوث فأنا أبو العيال وراعيهم " .**

فهذا هو عمر ( ﷺ ) في كلماته القليلة وهو يقدم نفسه للخلافة ..

وأهم ما يميز إنجازات عمر بن الخطاب هو أن كثيرا منها ــ بل معظمها ــ كانت الأولى في مجالها ، حتى أطلق البعض عليها " **أوليات الفاروق** " ، فهو أول خليفة دعى بـــ " **أمير المؤمنين** " ، وأول من حدد تاريخا للمسلمين وهو " **التاريخ الهجري** " ، وأول من جمع القران في مصحف ، وأول من عس في عمله وطاف بالليل يتفقد أحوال الرعية ، وأول من دون الدواوين ، وكان أول خليفة يحمل الدرة ( أي العصا ) ويؤدب بها . ولعل أبرز إنجازات عمر في الخلافة هو هذا النظام الإداري الفريد الذي وضعه ، سواء في اختيار العمال والولاة أو في تدوين الدواوين ، أو إحداث أوضاع جديدة في الإدارة اقتضتها حالة التوسع والفتوح .

ومنها بناء بيوت خاصة بالدواوين بعيدا عن المساجد ، خاصة أن كثيرا من المتعاملين مع الديوان من غير المسلمين . وكان أول ديوان وضع في الإسلام هو " ديوان الإنشاء " ، وجعل له عمر صندوقا خاصا لجمع صكوكه ومعاهداته وأوراقه ، وجعل له مجلس شورى من كبار الصحابة ، ليأخذ رأيهم في المسائل العامة التي يعرضها الناس عليه في المسجد ، والتي لا يكفى القضاء فى البت فيها ..

أما الفتوح أيام عمر ، فقد شملت فتح العراق ، **ومصر** ، والشام ، وديار بكر (الجزيرة) ، وأرمينية ، وأذربيجان ، وبلاد الجبال ( اسيا الوسطى الآن ) . وشملت أيضا أجزاء من بلاد فارس وخوزستان وغيرها ، وكان عمر حريصا على شغل الناس بالعمل والجهاد ، وكان يشجعهم على العمل ، ويخشى البطالة ، فإنها من أهم أسباب الفتن والبلاء .

- **فتح مصر .. أم غزو مصر ..**

ومن الجدير بالذكر ــ هنا ــ العرض لمقولة : **إن الفتح الإسلامي لمصر كان غزوا وليس فتحا** [٧] ..!!! وهي الفرية التي يرددها بعض المتعصبين من الإخوة المسيحيين المصريين ليرد عليهم **الدكتور نبيل بباوي** [٨] **وهو المسيحي** الحاصل علي أربع درجات دكتوراه ، ويصف نفسه بأنه يتوخي أقصي درجات الدقة فيما يكتب .. فيقول ..

[ .. فللحقيقة التاريخية ؛ عندما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٦٤١ م ( ٢٠ هـ ) .. أنقذ أقباط مصر من الاضطهاد الديني الذي كانوا يذوقونه على أيدي الحكم البيزنطي . ففي عام ٦٣٠ م. أصدر هرقل ــ إمبراطور الروم ــ قرارا بأن تكون جميع الإمارات التابعة للإمبراطورية البيزنطية ( أنظر تذييل رقم ١٥ التالي ) كاثوليكية وكانت مصر ولاية في الدول البيزنطية وكان الشعب المصري كله أقباط أرثوذكس .. فأرسل هرقل **حاكما اسمه المقوقس وكان بطريركا للكاثوليك** وأوكل إليه تحويل المصريين إلى ملته **وهذا ما كتبه المؤرخ ساويرس ابن المقفع في كتابه سير الأباء البطاركة** والذي ذكر فيه صور التعذيب الذي تعرض له المصريون فوصف أن دماء الأقباط المقتولين وصلت إلى ركب خيول الرومان ..

فقد كانوا يستعينون بماكينات تقرب الأشجار لبعضها فيقيدون الشخص ثم يعزلون الماكينات عن الأشجار فيمزق جسد الشخص .. بالإضافة إلى إلقائهم في الزيت المقلي .. وكانوا يشوونهم على نيران لا يؤدى إلى موتهم سريعا . ولم يسلم من هذا التعذيب أحد .. حتى البطريرك بنيامين الذي جاءوا بأخيه متياس وألقوه في الزيت وأشعلوا فيه النيران أمام أخيه ولكن بنيامين لم يغير ملته واستطاع الهرب إلى الصحراء وأرسل إلى ١٦٨ أبرشية في مصر وطالبهم فيها بالهروب إلى الجبال ، **فهل حينما يأتي أحد لينقذ مصر من هذا العذاب أيكون مستعمرا أم منقذا ويستحق المساعدة والمناصرة ..؟!!!**

---

٧ بلغ عدد نصارى مصر ــ حسب تعداد عام ١٩٤٧ ــ حوالي ١,٥ مليون نسمة من مجموع ٢٣,٣ مليون ( أي حوالي ٦.٤ % ) . وبلغ عدد نصارى مصر ــ حسب تعداد عام ١٩٨٦ ــ حوالى ٢,٨ مليون نسمة من مجموع ٤٨ مليون ( أي حوالي ٥,٨ % ) . وعلى حسب نسبة الزيادة السكانية فالمتوقع أن يكون عددهم في عام ٢٠٠٥ أقل من ٥ مليون نسمة ( أي حوالي ٦% من إجمالي تعداد سكان مصر ) . كما يبلغ عدد الملل الكنسية للنصارى في مصر حوالى أربعين ملة تنضوي تحت سبع مجموعات عقائدية وطائفية .

٨ جريدة العربي الناصري : العدد ٩٣١ بتاريخ ١٧ أكتوبر ٢٠٠٤ .

وهذا ما فعله الأقباط المصريون ــ بالضبط ــ حيث كانوا يمدون جيش عمرو بن العاص بالطعام ويرشدونهم في الطريق .. ثم هل يمكن لجيش عدده لا يتجاوز عشرة آلاف جندي هو عدد جيش عمرو بن العاص .. أن يهزم ١٤٥ ألف جندي هو الجيش البيزنطي دون مساعدة المصريين أنفسهم ..؟!!! بكل تأكيد مستحيل ..!!! ربما هذا الكلام لا يرضي المتعصبين من المسيحيين لكن هذا هو التاريخ . ] .. **وانتهى رد الدكتور نبيل بباوي ..**

**﴿ .. وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا .. (٢٦) ﴾**

( القران المجيد : يوسف {١٢} : ٢٦ )

- **فتح مدينة القدس ..**

كما فتح عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ **مدينة القدس** وتسلم مفاتيحها سنة ٦٣٨ م. من بطريرك المدينة **القس صفرنيوس** ، ولم يرق دم مسيحي واحد في هذا الفتح . واستمر الحكم العربي الإسلامي في فلسطين إلى أن وصل الصليبيون واستولوا على القدس سنة ١٠٩٩ ميلادية ، وقاموا بذبح ( ٧٠ ) ألف مسلم ــ وفي روايات أخرى مئة ألف مسلم ــ تقربا وزلفي لرضاء المسيح .. ثم يتهموننا بالإرهاب ..!!! ثم عادت القدس إلى الحكم الإسلامي مرة أخرى بعد أن استردها منهم صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٧٨ م .

- **سقوط دولة الفرس ..**

كما شهد عصر عمر بن الخطاب سقوط دولة الفرس ، حيث دارت معركتان أساسيتان بين المسلمين والفرس ( المجوس ) هما معركتا : القادسية ونهاوند ..

**معركة القادسية** : دارت هذه المعركة في القادسية ( بالقرب من الكوفة ) سنة ( ١٥ هـ = ٦٣٦ م ) : بين المسلمين ( في العراق ) بقيادة **سعد بن أبي وقاص** ، وبين الفرس ( في إيران ) بقيادة " رستم " .. لمدة أربعة أيام ، انهزم فيها الفرس هزيمة ساحقة على الرغم من أن عدد الفرس كان أكثر من مئة وعشرين ألف مقاتل ، هذا عدا الذين التحقوا برستم ، كما كان معهم ثلاثون فيلاً تشبه الدبابات في وقتنا الحاضر ، بينما كان عدد المسلمين حوالي اثنين وثلاثين ألفا ( كان من ضمنهم ١٧٠٠ إمرأة ) ، وبانتصار المسلمين في القادسية بدأت نهاية الإمبراطورية الفارسية تلوح في الأفق .

**معركة نهاوند ( أو معركة فتح الفتوح .. كما يسميها المؤرخون ) :** سمع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أن كسرى الفرس ( يزدجر ) جمع جموعاً هائلة ، قدرت بمئة وخمسين ألف مقاتل ، لمحاربة المسلمين ، والثأر لهزيمة الفرس في معركة القادسية ، فأمر **النعمان بن مقرّن** أن يكون قائداً لجيش المسلمين في العراق . نهض النعمان بالأمر ، فحشد ما استطاع من المسلمين ، فكان جيشه ثلاثين ألف مجاهد ، فيه عدد من الأبطال ، **مثل القعقاع** وحذيفة بن اليمان ونعيم بن مقرّن ، وسويد بن مقرّن ، وعاصم بن عمرو ، ومجاشع بن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وجرير بن عبد الله البجلي ، **ومعقل بن مقرّن ، وسواهم من الأبطال الصناديد .**

تقدم النعمان بجيشه ، فلما صار في مواجهة جيش الفرس في نهاوند ( إحدى مدن إيران ) في عام ٢١هـ / ٦٤٣م ، كبّر وكبّر معه المسلمون ، فانخلعت قلوب الفرس لهذا التكبير ، ثم التحم الجيشان ، واقتتلا يومين كاملين ، وانهزم الفرس هزيمة شنيعة ، تاركين أكثر من مئة ألف قتيل في المعركة ، ماعدا الذين قُتلوا أثناء المطاردة . وقد استشهد النعمان في المعركة ، بعد أن حقق نصراً مؤزراً للمسلمين ، ودُفن في ثرى نهاوند . وفي هذه المعركة الهائلة ، هرب الفيرزان قائد الفرس ، فلحق به القعقاع وقتله .

- **اغتيال عمر ..**

اعتاد عمر أن يحج كل عام ويدعو ولاته وعماله فيوافونه أيام الحج بمكة كي يحاسبهم على أعمالهم ، ويشاركهم في تدبير شئون ولايتهم . وبعد حجته الأخيرة ( سنة ٢٣ هـ ) .. قام وخطب الناس يوم الجمعة فقال : " أيها الناس ! إني أريت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي . رأيت ديكا أحمر نقرني نقرتين " . وقال : " أيها الناس قد فرضت لكم الفرائض وسنت لكم السنن وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا " . ثم قال : " اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ! فإني إنما بعثتهم ليُعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، ويعدلوا عليهم ، ويقسموا فيئهم بينهم ، ويرفعوا إليّ ما أشكل عليهم من أمرهم " .

**فهذا هو عمر في اختياره لعماله وأمراء الأنصار .. فحركته كلها كان يبغي بها وجه الله ، ودين الله ، ومصلحة المسلمين .**

وفي أحد الأيام ــ وبعد هذه الخطبة ــ وعمر يطوف في سوق المدينة لقيه **أبو لؤلؤة** [9] وكان غلاما للمغيرة وقد فرض عليه المغيرة درهمين كل يوم ، لأنه كان صانعا ماهرا . ولما سأله عمر عن مهنته قال : نجار ، نقاش ، حداد . فقال له عمر فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من أعمال ( أي ليس بكثير على رجل يجيد ثلاث صنائع كأبي لؤلؤة أن يدفع لوليه ــ المغيرة بن شعبة ــ درهمين في اليوم ) .

ثم أردف عمر قائلا لأبي لؤلؤة : بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت.

قال أبو لؤلؤة : نعم .
قال عمر : فاعمل لي رحى .
قال أبو لؤلؤة : **لئن سلمت** ( نجيت ) **لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب .**

**وانصرف أبو لؤلؤة ، وفكر عمر فيما قال ، وغمغم قائلا .. لقد توعدني العبد !** وصدق حدس عمر ! فبيّت العبد بعمر شرا ، وأعد خنجرا له نصلان ، وفي اليوم الثالث من اللقاء ( يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة ) ، ذهب أبو لؤلؤة إلى المسجد في عماية الصبح واختبأ في أحد أركانه .. وعندما هم **عمر** بالصلاة بالمسلمين .. ظهر أمامه أبو لؤلؤة وطعنه بخنجره ثلاث أو ست طعنات ..!!! وسقط عمر مضرجا في دمائه ، وذهب ليلقى ربه شهيدا . وتذكر كتب السيرة أن الأمر لم يكن مجرد انتقام أبي لؤلؤة من عمر .. بل هي مؤامرة دبرها الفرس مع اليهود ( وعلى رأسهم كعب الأحبار الذي حدد لعمر يوم موته ) وقام بتنفيذها أبو لؤلؤة [10] .

وفور سماع الفرس [11] والروم خبر مقتل عمر ظنوا أن وفاته هي فرصتهم لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الفتوحات ، لكنهم فشلوا في ذلك تماما .

---

٩ هو أبو لؤلؤة النصراني فيروز ، وكان فارسيا ، أسر في نهاوند ثم وقع في ملك المغيرة بن شعبة .

١٠ يوجد خلاف بين الروايات عن اليوم الذي طعن فيه عمر واليوم الذي دفن فيه ، فإحداها تجري بأنه طعن يوم الأربعاء ودفن يوم الخميس لثلاث ليالي بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ . وتجري رواية أخرى بأنه طعن يوم الأربعاء ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة ٢٤ من الهجرة . وتجري رواية ثالثة بأنه توفى في الثامن أو العاشر من المحرم سنة ٢٤ هـ .

١١ فارس أو بلاد الفرس : الاسم القديم لإيران . وقد طلبت الحكومة الإيرانية ، عام ١٩٣٥ إلى جميع من يعنيهم الأمر ، اعتماد اسم " إيران " بدلا من اسم " فارس " . ثم عادت فاعلنت ، عام ١٩٤٩ أنها لا تصر على ذلك نظرا لسعة انتشار الاسم القديم .

وفي اللحظات الأخيرة من حياة **عمر بن الخطاب** بعد أن طعنه أبو لؤلؤة قيل : يا أمير المؤمنين لو استخلفت ( أي عيّن من يخلفك ) ؟ فقال لو كان عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول إنه أمير هذه الأمة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول إن سالما شديد الحب لله تعالى .

قال رجل : أدلك على **عبد الله بن عمر** ( أي ابنـــه ) . فقال : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا ! إنه لا أرب لنا في أموركم ، فما حمدتها لأرغب فيها لأحد من أهل بيتي . إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرا فقد صُرف عنا . **بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ! ويسأل عن أمة محمد** ! أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافا لا وزر ولا أجر فإني لسعيد . أنظر ! فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني .. ولن يضيع الله دينه . وخرج القوم من عنده ثم راحوا فقالوا ، يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا .. فقال : كنت قد أجمعت بعد مقالتي أن أنظر فأولي رجلا منكم ، لكني ما أردت أن أحملها حيا وميتا ، فعليكم هؤلاء الرهط من الرجال .. ثم عدّد [١٢] ..

**(١) عثمان بن عفان (٢) وعلي بن أبي طالب (٣) والزبير بن العوام (٤) وطلحة بن عبيد الله (٥) و عبد الرحمن بن عوف (٦) وسعد بن أبي وقاص .**

فقد قال رسول الله ( ﷺ ) إنهم من أهل الجنة [١٣] .. ولا أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ( ﷺ ) وهو عنهم راض ، فأيهم استُخلف فهو الخليفة من بعدي . وقد خشي عمر أن يختلف القوم بينهم ، فيؤدي اختلافهم إلى الثورة ، لذلك دعا الأنصار وقال لهم : إذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل صُهيْب بالناس ، فإنه رجل من الموالي لا ينازعكم أمركم ، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم .

**١٢ فيما رواه الطبري وابن الأثير في قصة الشورى وكيف استخلفهم عمر ؛ عن كتاب : " الفاروق عمر " ؛ محمد حسين هيكل . دار المعارف . الجزء الثاني ؛ ص : ٢٨٢ .**

**١٣ العشرة المبشرون بالجنة هم : (١) أبو بكر الصديق . (٢) عمر بن الخطاب (٣) عثمان بن عفان (٤) علي ابن ابي طالب (٥) طلحة بن عبيد الله (٦) الزبير بن العوام (٧) سعد بن أبي وقاص (٨) عبد الرحمن بن عوف (٩) سعيد بن زيد (١٠) أبو عبيدة بن الجراح . وفي بعض الروايات يبدأ العشرة بالرسول ( ﷺ ) ولا يضاف أبو عبيدة بن الجراح .**

ثم قال : " أدخلوهم بيتا ثلاثة أيام ، فإن استقاموا ( بمعنى فإن اتفقوا على رأي ) وإلا فادخلوا واضربوا أعناقهم " . ودعا أبو طلحة الأنصاري وقال له : " يا أبا طلحة ! كن في خمسين من قومك الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى ، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت أحدهم فقم على ذلك الباب بأصحابك ، فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمّروا أحدهم . اللهم أنت خليفتي عليهم " .

وهكذا ؛ جعل عمر بن الخطاب الخلافة من بعده شورى في ستة رجال من المبشرين بالجنة . وانخلع منهم **عبد الرحمن بن عوف** برغبته على أن يختار منهم الخليفة ( أي يختار أفضلهم ) بعد أن أخذ منهم العهد والميثاق بقبول حكمه واختياره . وقام عبد الرحمن بن عوف بالمرور على الخمسة الباقين كل على انفراد .. ثم انتهت فترة الثلاثة أيام بأن قام عبد الرحمن ابن عوف باختيار عثمان بن عفان للخلافة الثالثة من بعد أبي بكر وعمر . وهكذا أصبح عثمان ابن عفان الخليفة الراشد الثالث .. وجاء المسلمون وبايعوه بما في ذلك **عليّ بن أبي طالب** على الرغم من إحساسه بظلم عبد الرحمن بن عوف له باختياره عثمان بن عفان وتفضيله عليه . فأين عالمنا المعاصر والأنظمة الحاكمة من هؤلاء العمالقة ..!!!

* * * * * * * * * * *



obeikandl.com

# عثمان بن عفان ( ذو النورين )
## ( ٢٣ – ٣٥ هـ ) / ( ٦٤٤ – ٦٥٦ م )

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذي جعل عمر بن الخطاب الأمر شورى بينهم . ولـد عثمان بن عفان سنة ( ٥٧٥ ؟ – ٦٥٦ م ) . تقلد الخلافة سنة ٦٤٤ م وعمره حوالي ٦٩ سنة ، وبقي فيها لمدة اثنى عشر عاما ولقب بـ " ذي النورين " [١٤] .

وفي يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ بويع عثمان بالخلافة ، وتمت البيعة في حضور مجلس الشورى السداسي الذي حدده الخليفة الثاني عمر بن الخطاب على النحو السابق ذكره . وفي اليوم التالي ، الأول من المحرم سنة ٢٤ هـ ، بدأت خلافة عثمان وكان عمره آنذاك ثمانية وستين عاما ، ليصبح عثمان ثالث الخلفاء الراشدين وهو أطول الخلفاء الأربعة بقاء في الحكم ، فقد استمرت خلافته اثنا عشر عاما .

وقد حفلت فترة خلافة عثمان بالعديد من الإنجازات ، كان أعظمها على الإطلاق توحيد المصاحف على قراءة واحدة ومصحف واحد هو ما نعرفه اليوم بـ " **مصحف عثمان** " ، ومن إنجازات عثمان في مجال البناء والتشييد زيادته مساحة المسجد الحرام ، وزيادة مساحة المسجد النبوي . كما تعددت الفتوح في عهده .. فبعد وفاة عمر بن الخطاب انتفضت كثير من البلاد التي فتحها المسلمون في فارس والروم ، ونقضت كثير من المقاطعات الفارسية معاهداتها مع المسلمين ، فتصدى عثمان لهذه الثورات بحزم وقضى عليها . وحاولت الروم أن تهاجم الشام وتطرد المسلمين منها ، فأمر عثمان بتحريك قوات من العراق لنجدة الشام ، وهزم المسلمون

---

**١٤ لقب عثمان ( ﷺ ) بـ " ذي النورين " لتزوجه بنتيّ النبي ( ﷺ ) ، فقد زوّجه رسول الله ( ﷺ ) ابنته رقيّة . فلما ماتت ، زوّجه أختها أم كلثوم فلمّا ماتت .. تأسّف رسول الله ( ﷺ ) على مصاهرته وقال : ( والذي نفسي بيده لو كان عندي ثالثة لزوّجتُكها يا عثمان ) . وكثيرا ما دعا له الرسول .. لجهاده بماله ونفسه في سبيل الله .**

الروم ، وافتتحوا حصونا كثيرة في بلادهم . وهاجم الروم مصر ، واستولى قائدها " مانويل " على الإسكندرية ، فخرج إليهم فاتح مصر **عمرو بن العاص** فطردهم نهائيا ، وقتل "مانويل " .

وفي عهد عثمان استمرت الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا ، وتم بناء أول أسطول إسلامي ، وكان أول عمل بحري ناجح قام به الأسطول هو فتح " جزيرة قبرص" سنة ٢٨ للهجرة . والتقى الأسطول الإسلامي مع الأسطول البيزنطي في أول معركة بحرية للمسلمين سنة ٣٤ للهجرة ، وهى " **معركة ذات الصواري** " ، وفيها هُزم الأسطول البيزنطي هزيمة ساحقة . ( ملحوظة : في مراجع أخرى .. تاريخ هذه المعركة هو ٦٥٢م / ٣١هـ ) .

- **معركة ذات الصواري ( سنة ٣٤ للهجرة / ٦٥٤ م )**

في هذه المعركة خرج **قسطنطين الثاني** إمبراطور بيزنطة [١٥] ، يقود بنفسه قومه في خمسمائة سفينة ، والمسلمون في مائتي سفينة من الشام ومصر ، يقودهم **عبد الله بن سعد** أمير مصر . وفى تحدٍّ هائل التقى الخصمان عند كيليكيا واتفقا على أن يصنعا من السفن ساحة حرب تفصل وتحسم الموقف لصالح أحدهما ، فرُبطت سفنُ الرومان بسفن المسلمين ، وشُدت الحبالُ بينهما ، وبعد أول ضربة بالسيف اشتعل القتال واشتدت نيرانه ووثب الرجال وأخرجت الخناجر من مخابئها ، وتدفقت الدماء من أجساد المصابين وجثث القتلى الذين تقاذفهم موج البحر حتى

---

١٥ الإمبراطورية البيزنطية (Byzantine Empire ) : هي القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية القديمة وقد بلغت أقصى اتساع لها في القرن السادس الميلادي ( سنة ٥٥٠ م ) في عهد الإمبراطور يوستنيانوس الأول ( Justinian I ) وقد ضمت أجزاء من جنوب وشرق أوربا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط . كما تسمى الإمبراطورية البيزنطية في بعض الأحيان باسم : " الإمبراطورية الرومانية الشرقية " . فعقب وفاة الإمبراطور قسطنطين الأول ( Constantine I ) عام ٣٩٥ للميلاد ، وتولى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ( Theodosius I ) الحكم .. قام بتقسيم الإمبراطورية الرومانية على ابنيه : القسم الشرقي وعاصمته بيزنطة ( مدينة إستانبول : Istanbul الآن ) ، والقسم الغربي وعاصمته روما .

ومنذ هذا التاريخ أخذ القسم الغربي في الانحطاط ، في حين أخذ القسم الشرقي في الازدهار فنشأت فيه حضارة نصرانية المقومات كان لها أثر كبير في تاريخ أوروبا . وقد عمرت الإمبراطورية البيزنطية نيفا وألف سنة ( ٣٩٥ – ١٤٥٣ م ) ولكنها لم تكتسب سماتها المميزة إلا بعد سقوط القسم الغربي للإمبراطورية الرومانية بشكل نهائي بعد سقوط عاصمته " روما " في يد القبائل الجرمانية ( Ostrogoths ) في القرن الخامس للميلاد ( عـــام ٤٧٦ م ) .

وسرعان ما دخلت الإمبراطورية البيزنطية في صراع مع العرب ، فانتزعوا منها سوريـــا ومصر وشمال إفريقيا ومن ثم اقتصرت ممتلكاتها على اسيا الصغرى ( تركيا ) وشبه جزيرة البلقان . ثم دخلت في صراع مع الأتراك العثمانيين انتهى بسقوطها نهائيا (عام ١٤٥٣) عندما استولى السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية ( مدينة بيزنطة .. وهي أيضا مدينة استانبول ) . وقد صانت الإمبراطورية البيزنطيـــة أوروبا الغربية من غزوات القبائل الجرمانية ، وحفظت التراث الثقافي الإغريقي من الضياع . ( عن : الموسوعة البريطانية )

بدت الدماء الحمراء على صفحة الماء ، وصبر المسلمون صبرًا شديدًا في وجه عدوّهم الشرس حتى استشهد منهم كثير ، وهلك من الروم عدد كبير وتسلل رجل من المسلمين جهة قسطنطين وسط زحام القتال الرهيب حتى أصابه ، وحين رأى قسطنطين الدم يسيل من جسده ، والجراح قد ألمّته أمرَ جنوده بالانسحاب والإبحار بعيدا عن هؤلاء المسلمين الذين لا يفيد معهم شيء ، لا جيش برى .. ولا أسطول بحري ..!!!

## • الفتنة ومقتل عثمان ..

مرت الأعـــوام الستة الأولى من خلافة عثمان على خير وجه ، حيث حقق المسلمون فيها الكثير من الإنجازات الرائعة ، مثل : تثبيت الفتوحات في البلاد التي انتفضت عقب وفاة الفاروق عمر ، وفتح بلاد جديدة ، وبناء الأسطول الإسلامي . أما ما بقى بعد ذلك من سنوات الخلافة الراشدة ، فقد تحولت من اعتراضات عادية إلى تمرد على الخليفة وولاته . فقد أخذت هذه العاصفة تتجمع شيئا فشيئا حتى تحولت إلى إعصار كُتب على عثمان الخليفة الشيخ أن يواجهه وحده ، في محنة هبطت بها شراسة المتآمرين إلى السفح ، وارتفع بها تسامح الخليفة الشهيد وحكمته إلى القمة .

وقد بدأت جذور هذه الفتنة عقب تولي عثمان بن عفان الخلافة مباشرة .. حيث شاع عنه تعيين أقربائه في الولاية على الدول الإسلامية .. ففي خلافته ــ على سبيل المثال ــ عين عثمان عمه الحكم بن العاص ، وهو الذي طرده الرسول من المدينة ، كما عين الوليد بن عقبة أخوه لأمه واليا على الكوفة ( ويقال أنه كان يشرب حتى الفجر ، فيصلي بالناس أربعا ! وهو ممن أخبر النبي ﷺ أنه من أهل النار ! ) ، ومعاوية على الشام ، وعبد الله بن عامر على البصرة .. وهكذا ..

وقد كان عمرو بن العاص واليا لمصر ( بعد أن فتحها في عهد عمر بن الخطاب ) ، فلما أصبح عثمان أميرا للمؤمنين عزل **عمرو بن العاص** عن ولاية مصر [١٦] ، واستعمل بدلا منه **عبد الله بن أبي سرح** فغضب " **عمرو** " وحقد على عثمان ( حتى أنه طلق أخته التي كان

١٦ من المأخذ على الخلافة الإسلامية : السلطة المطلقة للخليفة في اختيار وتعيين ولاة الأمصار ( أي حكام بلاد الخلافة ) ..!!! وبديهي : يتم هذا الاختيار والتعيين من خلال من يعرفهم الخليفة نفسه .. بدون الأخذ في الاعتبار رغبة شعوب الأمصار أنفسهم ( إلا فيما ندر ــ كما حدث مع الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان عندما استجاب لرغبة المصريين في تعيين محمد بن ابي بكر ) . وربما لو أمر الخليفة بانتخاب ولاة الأمصار بمعرفة شعوب الأمصار نفسها ( كما هو الحال في " حاكم الولاية " في نظام الولايات المتحدة الأمريكية ) لبقيت الخلافة الإسلامية إلى الوقت الحالي وتغير وجه تاريخ الحضارة الإسلامية تغيرا جذريا !

متزوجا منها ) ، خصوصا وأن عبد الله بن أبي سرح غضب عليه رسول الله ( ﷺ ) يوما وأهدر دمه ( قبل أن يسلم ) !

وخرج عمرو بن العاص من مصر قاصدا المدينة ، وقابل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة يخبرهم أن أهل مصر قد استاءوا من عثمان لأنه استعمل عليهم **عبد الله بن أبي سرح** ، ذلك الرجل الذي مات الرسول وهو عليه غضبان . وانضم إلى عمرو بن العاص كل من محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، كما انضم إليهم أيضا " **عبد الله بن سبأ اليهودي** [١٧] ليبذر بذور الشقاق بين المسلمين ، فأشاعوا أن عثمان يولي أقاربه على الناس .. وأخذوا يتحدثون عن خلع عثمان من الخلافة .

ومما زاد من حدة التحامل على عثمان ، أنه أمر **عبد الله بن أبي السرح** بأن يخرج لفتح شمال أفريقيا وقال له : إن فتح الله عليك ، فلك خمس الخمس من الغنائم . فتقابل جيش المسلمين ( وكان فيهم جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، منهم ابن عباس ، وابن عُمر ، وابن عمرو بن العاص ، وابن جعفر ، والحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير .. وغيرهم ) . ولما انتصر جيش المسلمين ، احتفظ بن السرح بخمس الخمس لنفسه كما وعده عثمان بهذا ، مما أثار حفيظة أهل مصر .

وصل الغضب على عثمان منتهاه ؛ فكاتب أهل مصر أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وتواعدوا على اللقاء في المدينة . وذاع في المدينة أن المصريين ما جاءوا إلا لقتل عثمان . ودخل كبار الصحابة على عثمان وقالوا له : إن وفد مصر يطلب عزل **عبد الله بن أبي سرح** ، لأنهم يكرهون ولايته . فاستجاب عثمان لرغبة المصريين ، فأرسل وقال لهم : اختاروا رجلا عليكم مكانه . فاختار الناس **محمد بن أبي بكر** ، فكتب عثمان عهده له وولاه . وفرح المصريون بتولية **محمد بن أبي بكر** عليهم ، ثم شرعوا في العودة إلى مصر .

وانطلق ركب المصريين عائدين إلى مصر ومعهم **محمد بن أبي بكر** ، وبعد ثلاثة أيام من الرحيل ، مر على الركب غلام أسود على بعير يخبطه خبطا ويمضي بجانبهم مسرعا ..

---

**١٧ عبد الله بن سبأ من أشهر الشخصيات اليهودية التي بذرت الشقاق بين المسلمين . ادعى الإسلام في عهد عثمان وباطنه الكفر .. وكان من أهل صنعاء ، وكانت أمه سوداء ، لذا كان يطلق عليه ابن السوداء . انتهج التشيع لعلي رضي الله عنه ، وإليه تنسب الفرقة السبئية التي قالت بألوهية علي بن أبي طالب . وينسب إليه تأسيس فرقة الرافضة ( لتبني عقائد تنافي الدين الإسلامي ) .. ويوجد من ينسب إليه المذهب الشيعي أيضا .. ولكن الشيعة تنفي هذا الاتهام وتتبرأ منه ( أنظر الملحق الثالث ) .**

فارتابوا في أمره ( اعتقادا منهم أنه هارب ) فقبضوا عليه وفتشوه فعثروا معه على **كتاب من عثمان يأمر عبد الله بن أبي سرح .. بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه من المصريين .. فور وصولهم إلى مصر** . فعاد محمد بن أبي بكر ومن معه إلى المدينة ، وقد عزموا على قتل عثمان لهذا الغدر .

ودخل وفد من المصريين ــ ومعهم عليّ بن أبي طالب ــ على عثمان ، فقالوا : " رحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع ( أي تتوب ) فردّنا عليّ بن أبي طالب . ثم رجعنا إلى بلادنا ، حتى أخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن أبي سرح ، تأمره فيه بقتلنا !

فقال عثمان : " والله ما كتبت ، ولا أمرت ، ولا **شوورْت** ، ولا علمت "

**فقال عليّ بن أبي طالب : " قد صدق "** .

فقال المصريون : ولكن الكتاب كتابك ؟

أجاب عثمان : أجل ولكنه كتب بغير أمري !

قال المصريون : والرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك ؟

قال عثمان : أجل ؛ ولكنه بغير إذني .

قال المصريون : والجمل جملك ؟

قال عثمان : أجل ؛ ولكنه أخذ بغير علمي .

فقالوا له : " ما أنت إلا صادق أو كاذب . فإن كنت كاذبا ، فقد استحققت الخلع ، لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها . وإن كنت صادقا ، فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك ، لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع هذا الأمر دونه ، لضعفه وغفلته ، فاردد خلافتنا ، واعتزل أمرنا ، فإن ذلك أسلم منك ، وأسلم لنا " .

فقال عثمان : " أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قميصا قمّصينه الله عز وجل ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكن أتوب وأنزع ، ولا أعود إلى شيء عابه المسلمون ، فإني والله الفقير إلى الله ، الخائف منه " .

قالوا : فلسنا منصرفين حتى نعزلك ونستبدل بك [١٨] ..!!!

---

**١٨ كما نرى ؛ فالمسئولية تضامنية بين الحاكم وبين من يولي . فمن منظور الثوار .. استحق عثمان بن عفان الإقالة لأنه غفل عما تفعله بطانته . فهل يمكن أن نقارن هذا مع يحدث مع أنظمتنا الحاكمة ؟ فعلى سبيل المثال بطانة الأمن ( أي وزارة الداخلية ) تقوم بإهدار حقوق الإنسان العربي ( من تعذيب وقتل وإهانة وخلافه ) بدون أدنى مسئولية ؛ لا على البطانة ولا على الحاكم ..!!!**



obeikandi.com

واحتدم الخلاف بين عثمان والثوار .. فحاصر الثوار بيت عثمان حتى يتنازل عن الخلافة فأرسل علي بن أبي طالب ابنيه الحسن والحسين للدفاع عنه ، **ولكن عثمان رفض أن يتقاتل المسلمون من أجله وصرف من تطوع للدفاع عنه** ( ومنهم ابن الزبير بن العوام ) بعد أن قال لهم : " إني رأيت رسول الله ( ﷺ ) في منامي فقال لي : إنك شاهد معنا هذه الجمعة " .

وفي أثناء الحصار ( وفي غفلة من المدافعين ) ؛ تمكن **محمد بن أبي بكر** ومعه بعض الثوار من تسلق سور دار عثمان ودخلوا عليه **فوجدوه يقرأ القرآن بهدوء وكأن الأمر لا يعنيه** ! فأخذ بلحيته محمد بن أبي بكر وقال له : " ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، على أي دين أنت ؟ فقال عثمان : على دين الإسلام يا بن أخي ، ما كان أبوك يأخذ بلحيتي ..!!! "

وهنا أحس محمد بن أبي بكر بالخزي .. فغطى وجهه بيده ، ثم انسحب خافض الرأس ، وحاول أن يدفع الثوار المقبلين لقتل عثمان ، ولكنه لم يوفق ، فقد ضرب أحدهم عثمان بحربته ، وضربه آخر بسيفه ، وقامت زوجته ــ نائلة ــ تدافع عنه ، فقطع السيف أصابعها .. فصرخت : " **قد قتل أمير المؤمنين** " .. وبلغ صوتها آذان المدافعين عنه ، فأسرعوا بالدخول ، فوجدوا عثمان مقتولا ، فبكوا ، وذاع النبأ .. ودفن عثمان خليفة المسلمين وصهر رسول الله في سكون الليل ، وفي غفلة من الناس خوفا من بطش الثوار في المدينة ..!!!

ودخلت أم حبيبة زوج رسول الله ( ﷺ ) على نائلة زوجة عثمان ، وأخذت منها قميص عثمان ( وهو مضمّخ بدمه ) وأصابع نائلة ( المقطوعة ) التي أصيبت حين دافعت عن عثمان ، وبعثت بها إلى أخيـــها **معاوية بن أبي سفيان والي الشام** .

* * * * * * * * * * * *

# عَليّ بن أبي طالب [١٩]

## ( ٣٥ – ٤٠ هـ ) / ( ٦٥٦ – ٦٦١ م )

عقب قيام المصريين بقتل عثمان بن عفان ؛ أصبحت المدينة تموج بالثوار ، فاعتكف الناس في دورهم خوفا منهم ، وأصبح المسلمون بلا خليفة . فذهب المصريون إلى **عليّ بن أبي طالب** ليبايعوه .. فلم يقبل أن يبايعه الذين قتلوا عثمان ، وتبرأ منهم ومن مقالتهم .. ولم يقبل بالخلافة . **وذهب البصريون إلى طلحة** ، فلقيهم ولم يقبل بيعتهم . ثم عرضت الخلافة على كل من **الزبير بن العوام** ، **وعبد الله بن عمر** ، **وسعد بن أبي وقاص** ولكنهم رفضوا جميعا هذا الأمر . ورأى كبار الصحابة مبايعة **عليّ** مرة أخرى فاشترط عليهم أن تكون البيعة علنية وفي المسجد فقبلوا شرطه . وفي المسجد بايعه المهاجرون والأنصار، وتأخر طلحة والزبير ، ولكنهما بايعاه بعد ذلك [٢٠] ( وتمت البيعة في يوم ٢٥ من ذي الحجة ٣٥ هـ / ٢٤ يونيو ٦٥٦ ميلادية ) وبذلك أصبح عليّ بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين .

سار عليّ ( ﷺ ) على هدي أصحابه من قبله ، ولم يغير شيئا من نظم الدولة التي وضعها عمر بن الخطاب ، **وقال علي في ذلك : " إن عمر كان رشيد الرأي ، ولن أغير شيئا صنعه عمر "** . كما عمل عليّ - رضي الله عنه - على تنظيم الدولة وتوزيع الولاة على الأمصار ، وسار في ذلك أيضا على طريقة من سبقوه من الخلفاء ، فهو يولي العامل ثم يوضح له المنهاج الذي يسير عليه ، ويدعوه إلى الرفق بالرعية والعمل من أجلهم ، فهم أمانة يثقل حملها .. وكان في فترة خلافته يضرب بقوة الحق على أيدي من يحيد عن الحق .. كما كان يرفع بقوة الحق كل مظلوم وينصره ، فهو من قال فيه النبي ( ﷺ ) : "وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين – تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم " . وقد حاول عليّ جهده في نشر الاستقرار في البلاد ، ولكن التوفيق أخطأه بسبب تلك الفتنة الثائرة الفائرة منذ مقتل عثمان

---

**١٩ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ( ﷺ ) وزوج ابنته فاطمة ورابع الخلفاء الراشدين . ولد حوالي سنة ٦٠٠ م ، وتقلد الخلافة وعمره ٥٦ سنة ، وظل في الخلافة حوالي خمس سنوات .. ومات سنة ٦٦٢ م .**

**٢٠ خرج طلحة والزبير من المدينة بعد أن بايعا عليًا عليه السلام ، لينضمّا إلى عائشة لمحاربة علي في : " وقعة الجمل " .**

( ﷺ ) ودامت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، إلى أن قتله الخوارج [٢١] وكان عمره في نهاية خلافته حوالي ثلاثا وستين سنة .

## • معركة الجمل ( جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ )

في أثناء تواجد الثوار بالمدينة ومقتل عثمان بن عفان ، كانت السيدة عائشة ــ زوج رسول الله ﷺ ــ في مكة للحج ، وعقب عودتها وعلمها بالأحداث وأن الخلافة قد آلت إلى عليّ ابن أبي طالب ، غضبت غضبا شديدا [٢٢] ، وعادت من فورها إلى مكة لتثير أهلها على عليّ وتطالب بدم عثمان منه ! وانضم إليها بعد ذلك طلحة والزبير بن العوام ووجـوه بني أمية واتفقوا جميعا على الخروج من مكة إلى العراق طلبا للعون وقتال عليّ بن أبي طالب . وذهب القوم يبحثون عن **جمل شديد يحملون عليه أم المؤمنين ـ عائشة ـ وهودجها** ( ومنه جاء اسم الموقعة ) حتى وجـدوه .. ونادى المنادي ..

**إن أم المؤمنين ( عائشة بنت أبي بكر ) وطلحة والزبير ذاهبون إلى البصرة** ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام والطلب بثأر عثمان ، ولم يكن عنده مَركب ، ولم يكن عنده جهاز ، فهذا جهاز وهذه نفقة .

وركب الناس الجمال التي قدمت لهم ، وابتدأ الناس في الخروج لقتال عليّ بن أبي طالب وجرت الدموع .. فما من خارج للقتال إلا وقد بكى على الإسلام ، وما من شاهد للخروج إلا ودمعه منهمر ، فقد كانوا يعلمون أن المسلمين ما خرجوا إلا لقتال المسلمين ..!!! وارتفع النحيب في ذلك اليوم حتى سمي بـــ " **يوم النحيب** " ..!!! ورحل القوم ، وكانوا كلما مروا على ماء أو وادٍ سألوا الدليل عنه ، **حتى بلغوا ماء ، فأخذت الكلاب تنبح ، فسألوا الدليل :**

**ــ أي ماءٍ هذا ؟**

**ــ ماء الحوءب .**

---

**٢١ الخوارج : هي فرقة إسلامية كانت من شيعة عليّ بن أبي طالب ، ثم فارقوه وخرجوا عليه وكفروه وقاتلوه لأنهم طلبوا منه أن يرفض وثيقة التحكيم ويعود إلى قتال معاوية فأبى . فاعتبروه رافضا العمل بأحكام الدين .**

**٢٢ تذكر بعض كتب السيرة أن السيدة عائشة كانت غاضبة على عليّ ، منذ أن قال للرسول أن النساء كثير ، عندما اتهمها المنافقون ــ في حديث الإفك ــ ظلما مع صفوان بن المعطل السلمي . وذلك عقب غزوة بني المصطلق ( وهي الغزوة التي كاد الشقاق يفشو بعدها في صفوف المسلمين .. كما أثمرت حديث الإفك ) .**



obeikandl.com

ففزعت السيدة عائشة ، فقد تذكرت يوم قال النبي ( ﷺ ) ، لنسائه في إنكار : " ليت شعري أيّـتكن تنبحها كلاب الحوءب ؟ " .. لقد تيقنت في هذه اللحظة ، أن النبي لا يرضى عن خروجها فصرخت بأعلى صوتها :

ـــ **أنا والله صاحبة كلاب الحوءب ، ردوني .. ردوني ..!**

وأناخت بعيرها ، فأناخ الناس حولها ، وخشي القوم أن تعود عائشة إلى المدينة ، ففكروا في أن يفعلوا شيئا يضطرها إلى المسير . فجاء **عبد الله بن الزبير** وقال لها : " النجاة .. النجاة ..! فقد أدركم والله عليّ بن أبي طالب . فصدقت قوله وسارت لتؤلب الناس على أمير المؤمنين عليّ .

جاء عليّا خبر خروج عائشة وطلحة والزبير ، فخرج وهو يرجو أن يلحق بهم ليحول بينهم وبين الخروج ، ولكنهم كانوا قد سبقوه ، فسار في آثارهم حتى نزل بجيشه بجوار جيوش عائشة وطلحة والزبير ، وراح بعضهم يخرج إلى بعض ، ولا يتحادثون إلا في الصلح . وخشي قتلة عثمان أن يتفق الطرفان ويتم الصلح ، وأن يقع عليهم العقاب ، ( فدبر عبد الله بن سبأ اليهودي للفتنة ) فقاموا في عماية الصبح ، وانسلوا إلى معسكر عليّ ، وأخذوا يضربون الناس بأسيافهم ولكن جنود عليّ ردوهم على أعقابهم .

وحقنا للدماء .. خرج عليّ بن أبي طالب على بغلة رسول الله ( ﷺ ) ونادي :

ـــ يا زبير ! أخرج إليّ .
ـــ ولما خرج الزبير إلى عليّ .. تعانقا ..!!! وقال عليّ للزبير في عتاب ..
ـــ ويحك يا زبير ! ما أخرجك ؟
ـــ دم عثمان !

فقال عليّ : أما تذكر يوم لقيت رسول الله ( ﷺ ) في بني بياضه ، وهو راكب حماره ، فضحك إليّ رسول الله ، وضحكت أنت معه ، فقلت أنت : يا رسول الله ، أما يدع عليّ زهوه ، فقال لك : ليس به زهو . أتحبه يا زبير ؟ فقلت : اني والله لأحبه يا رسول الله . **فقال لك : إنك والله ستقاتله وأنت ظالم له ؟**

فقال الزبير : أستغفر الله ، لو ذكرتها ما خرجت .
فقال عليّ : يا زبير ارجع .

فقال الزبير : وكيف أرجع الآن ، وقد اجتمع الجيشان للقتال ، وهذا والله هو العار الذي لا يغسل .
فقال عليّ : يا زبير ارجع بالعار ، قبل أن تجمع العار والنار .

فخرج الزبير وقد طأطأ رأسه ، وسار ليترك ميدان القتال .. فتبعه رجل ــ من قتلة عثمان ــ فقتله غدرا !

ثم دارت معركة رهيبة ــ بعد ذلك ــ قتل فيها من الطرفين نحو ٢٠ ألفا من المسلمين ، وانتصر الإمام عليّ علي جيش عائشة في هذه الوقعة ( والتي سميت بموقعة " **الجمل** " ) ، كما قتل طلحة بسهم طائش . وعندمـــا انتهت الموقعة أكرم عليّ عائشة وأعادها إلى المدينة معززة مكرمة .

لما فرغ عليّ من وقعة الجمل انتقل إلى الكوفة [٢٣] واتخذها عاصمة لخلافته ، ودخلت جميع الأقطار في بيعته عدا الشام . فأرسل عليّ جرير بن عبد الله إلى معاوية بن أبي سفيان والي الشام يدعوه إلى الطاعة وإلا قاتله حتى لا تتفرق كلمة المسلمين ..!!! إلا أن معاوية ( الذي كان يطمع في الخلافة ) امتنع عن بيعة عليّ .. وتذرع بضرورة قتل منْ قتلوا عثمان أو لا ، أو تسليمهم لإقامة الحَدّ عليهم ..!!!

## • معركة صفين ( غرة صفر سنة ٣٧ هـ )

كان معاوية يطمع في الخلافة من بعد عثمان بن عفان ، فرفض أن يبايع عليّ بن أبي طالب ، فأخذ عليّ يجهز جيشا للخروج إليه ، ويحض أهل الكوفة على الاستعداد ، فخرج معه كثيرون ( وإن كان قُرَّاءُ القرآن من تلاميذ ابن مسعود أبوْا الخروج وسجلوا صورة مضيئة للمؤمن وسط هذه الفتن المظلمة ) لمحاربة معاوية . سار عليّ ( في نحو خمسين ومائة ألف ــ وفي روايات أخرى مائة ألف فقط ــ من أهل العراق ) إلى صفّين ( سهل يقع على الجـــانب الغربي لنهر الفرات شمال بلدة الرقة ) ، ولما علم معاوية بمسيره أسرع إلى هناك في نحو ذلك هذا العدد من أهل الشام ، وأقام الفريقان عدة أيام يلتقون على الماء ، ويسعى بعضُهم إلى بعض دون قتال ، ولكنه الجدال والمناقشة . وكثرت السفراء بين الفريقين ، وسعى أبو الدرداء

**٢٣ الكوفة : من أمهات المدن التي نشأت في الإسلام وقد بناها سعد بن أبي وقاص في العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . ويقال سميت بـــ " الكوفة " لاستدارتها أخذا من قول العرب : رأيت كُوفانا . وتقع مدينة الكوفة جنوب العاصمة بغداد ، وشمال مدينة النجف العراقية .**

وأبو أمامة للصلح بينهما ، كما قام جماعة من القُرّاء بمحاولاتٍ للصلح بين الطرفين ، ولكن دون جدوى . ولم تنتج المكاتباتُ والرسل نتيجة ، فلم يكن بُد من القتال .

ودارت رحى الحرب بينهم واشتد القتال ..!!! وكلا الفريقين صابر للآخر، والناس يكاد يُفني بعضُهم بعضًا ، ولما أحس معاوية بأن الغلبة لعليّ بن أبي طالب ، أشار عمرو بن العاص ( الذي كان يطمع أن يوليه معاوية على مصر ) على معاوية **برفع المصاحف على أسنّة الرماح** ونادى المنادي : هذا كتاب الله ( ﷻ ) بيننا وبينكم ، **من لثغور** ( مدن ) أهل الشام بعد أهل الشام ..؟! **ومن لثغور** ( مدن ) أهل العراق بعد أهل العراق ..؟! فاستجاب عليّ ــ رضي الله عنه ــ لنداء الصلح ، وأوقف القتال ، ولجأ الفريقان إلى التحكيم .

اختار الناس **أبو موسى الأشعري** عن أهل العراق ، ولم يقبل عليّ بهذا الترشيح لأنه كان يعلم أن عمرو بن العاص يستطيع خداعه بسهولة ، ورشح بدلا منه عبد الله بن عباس ( ابن عمه ) ، إلا أن الناس لم تقبل برأي عليّ للقرابة بينه وبين عبد الله بن عباس . فنزل عليّ لرأي الناس ، وقبل بتحكيم **أبو موسى الأشعري** عن أهل العراق ، **وعمرو بن العاص** عن أهل الشام وأن يكون الحكم لله وكتابه فإن لم يجدا ففي السنة العادلة ، وعقد لذلك وثيقة كُتبت في يوم الأربعاء الموافق ( ١٣ من صفر سنة ٣٧ هـ / ١ من أغسطس ٦٥٧ م ) عُرفت بوثيقة التحكيم .. وعلى أن يرجع أهل العراق إلى العراق ، وأهل الشام إلى الشام ، وأن يكون الاجتماع بعد سنة في **دومة الجندل** .

- **التحكيم بين عليّ و معاوية ..**

بعد قبول مبدأ التحكيم ، ندم رجال من أصحاب عليّ وحاولوا نقض هذا الاتفاق وعدم قبول مبدأ التحكيم ، إلا أن عليًا أبى أن ينقض عهده ، وأبى هؤلاء الرجال إلا أن يخرجوا على عليّ . ولذلك سموا بـــ " **الخوارج** " ، وعاد الإمام ( عليّ ) إلى الكوفة ، وقد فارقه الخوارج .

اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بعد عام في دومة الجندل وحضر الناس ليستمعوا إلى قول الرجلين . وكان الرجلين قد اتفقا ــ فيما بينهما قبل الاجتماع أمام الناس ــ على خلع كل من : عليّ ومعاوية معا وتولية الخلافة إلى **عبد الله بن أبي بكر** حتى يستريح الجميع من هذه الفتنة . وأمام الناس غدر عمرو بن العاص بأبي موسى الأشعري ! فقد طلب عمرو بن العاص من ابي موسى الأشعري أن يتكلم ــ أولا ــ أمام الناس على ما تم الاتفاق

عليه .. فقام أبو موسى الأشعري فقال : " إن هذه الفتنة أكلت العرب ، وإني رأيت وعمرًا أن نخلع عليًا ومعاوية ، ونجعلها لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يبسط في هذه الحرب يدا ولا لسانا " .

ثم قام عمرو بن العاص فقال : " إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا اخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان رضي الله عنه ، والطالب بدمه ، وأحق الناس بالخلافة ! ( فقد كان عمرو بن العاص يطمع في أن يوليه معاوية على ملك مصر ! ) .

**فقال أبو موسى في غضب : " مالك .. لا وفقك الله ! غدرت وفجرت .. إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث " . فقال له عمرو : " إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ! " .**

## • معركة النهروان ..

عقب التحكيم افترق المسلمون ثلاثة أقسام : الأول بايع لمعاوية وهم أهل الشام ، والثاني حافظ على بيعته لعلي وهم أهل الكوفة ، والثالث اعتزلهما ونقم على الامام عليّ لرضاه بالتحكيم وهم فرقة الخوارج . ولما بلغ الإمام عليّ خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري ، قام يخطب الناس في الكوفة للاستعداد والتأهب للمسير إلى الشام لقتال معاوية . وكتب إلى الخوارج ليخرجوا معه ولكنهم رفضوا الانضمام إليه ! وأراد الإمام أن يسير بأهل العراق .. فلم يطيعوه بل طلبوا منه أن يقاتل الخوارج أولا ! فسار حتى نزل المدائن ، والتقى بالخوارج عند " **النهروان** " ، سنة ٣٨ هـ ، ودارت بينه وبينهم معركة رهيبة .. انتصر فيها الإمام عليٌ . ثم سار بالناس ــ بعد ذلك ــ حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها تمهيدا للسير إلى أهل الشام ، فأقام الناس معه أياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، وتركوا عليًا وحيدا ومعه نفر قليل من وجوه الناس . فأطرق الإمام حزينا .. فقد تيقن أن أنصاره قد انفضوا من حوله ..!!!

## • قتل ( الإمام ) عليّ بن أبي طالب ( ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ )

ان أوان الحج ، فأرسل عليّ عامله على الحج ، وأرسل معاوية عامله .. واختلف العاملان ، وكان بين الحجاج بعض الخوارج ، فاجتمعوا وقالوا : " كان هذا البيت ــ الكعبة ــ معظما في الجاهلية ، جليل الشأن في الإسلام ، وقد انتهك هؤلاء ( أي عليّ ومعاوية ) حرمته ،

فلو أن قوما شروا أنفسهم ، فقتلوا هذين الرجلين اللذين أفسدا في الأرض ، واستحلا حرمة هذا البلد ، استراحت الأمة ، واختار الناس لهم إماما آخر " .

فقال **عبد الرحمن بن ملجم** : " أنا أكفيكم عليّا " .
وقال **الحجاج بن عبد الله الصريمي** : " أنا أقتل معاوية " .
وقال **زاذويْه** : والله ما عمرو بن العاص بدونهما ، فأنا به " .

واتفق الخوارج على أن موعدهم لتنفيذ الخطة صلاة الفجر من يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ . وانطلق كل منهم إلى صاحبه لينفذوا ما اتفقوا عليه . وفي اليوم الذي تواعدوا فيه خرج عبد الرحمن بن ملجم إلى عليّ ــ وهو ينهض الناس من النوم إلى صلاة الصبح ــ فضربه بالسيف فأصابه إصابة قاتلة . وخرج الحجاج بن عبد الله الصريمي إلى معاوية وهو خارج إلى صلاة الفجر ، فضربه بخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه وشفي منها . أما زاذويه فقد كمن لعمرو بن العاص ليقتله عند خروجه للصلاة ، ولكن اتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد فلم يخرج للصلاة إلا نائبه ــ خارجة بن أبي حبيبة ــ فحمل عليه الرجل وقتله وهو يعتقد أنه عمرو بن العاص .

وفي اللحظات الأخيرة لعليّ بن أبي طالب ــ وهو يحتضر ــ دخل الناس عليه وقالوا له : " ألا تعهد يا أمير المؤمنين ؟ ( أي ألا تعين الخليفة من بعدك ) . قال : لا ! ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله ( ﷺ ) .. وشدد علي ألا يقتل إلا قاتله ! ثم ظل يردد : لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ( الزلزلة ٧ ، ٨ ) .. حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .. وانتهى بموته عهد **الخلفاء الراشدين** ، وبدأ معاوية ــ في الشام ــ تأسيس دولة الأمويين ..

وهكذا انتهت فترة الخلافة الراشدة بقتل عليّ بن أبي طالب على يد أحد الخوارج ( عبد الرحمن بن ملجم ) .. كما كانت نهاية كل من عمر وعثمان بالقتل ، فقد قتل عُمَر على يد ( أبو لؤلؤة ) العبد المجوسي .. كما قتل عثمان في ثورة داخلية كانت بداية لحرب أهلية طويلة كان أساسها الصراع على السلطة ..!!!

* * * * * * * * * * * *